(الشجرة والموجة) تثيرا جدلا في أدبي جدة

جدة ـــ غفران إبراهيم

قدّم الأستاذ الناقد على الشدوي خلال الحلقة النقدية التي نظمها نادي جدة الأدبي ورقة نقدية بعنوان (الشجرة والموجه) قال فيها: " حين حلل المؤرخون الثقافة على الصعيد العالمي أو على صعيد واسع استخدموا استعارتين معرفيتين أساسيتين هما : الشجرة والموجة. فقد استخدمت الشجرة أداة لفقه اللغة المقارن ، واستخدمت الموجة لتفسير علاقات معينة بين اللغات ، واستخدمتا معا استعارتين لوصف نشوء الرواية الحديثة في الثقافات التي تنتمي إلى هامش ما يسمى الآن بالنظام الأدبي العالمي . والخلاصة من هذا كله هو : أن الشجرة والموجة استعارتان مفيدتان لمقاربة التاريخ الثقافي والاجتماعي ؛ فهو مكون من أشجار وأمواج

سوف أستعير هاتين الاستعارتين على نطاق ضيق ؛ لأقارب بهما الوضع الثقافي في قضاء الظفير في القرن الرابع عشر للهجرة (منطقة الباحة الآن). الشجرة لأصف بها الوضع الثقافي آنذاك ، والموجة لأصف بها ما تعرضت له ثقافة القضاء ابتداء من نهاية الربع الأول من ذلك القرن . الشجرة لأشير بها إلى الوحدة من خلال التنوع؛ أي شجرة واحدة بأفرع متعددة ، وعلى عكس الشجرة سأشير بالموجة إلى قسر الوحدة على التنوع .

الكتاب الذي اشتغلت عليه هنا هو كتاب " الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية المنتشرة في قضاء الظفير" للشيخ عبد الله بن سعدي رحمه الله (١٩٥٤) الذي لفت النظر إلى أن قرونا طويلة مرت على قضاء الظفير تكوّن خلالها فكر ، وتحصلت فيها ثقافة.

تكمن الأهمية الثقافية لهذا الكتاب في إحالته الضمنية إلى انقسام داخلي في قضاء الظفير سنعرضه فيما بعد ، حينما نكون بصدد الحديث عن الشجرة والموجة . يكفي أن أقول هنا إنه عرض خلاصة تركيبية للثقافة في قضاء الظفير إلى نهاية الربع الأول من القرن الرابع عشر للهجرة ، وتكفل بضبط عناصرها المكونة ، وبتحديد المواقف الذهنية التي تضمرها.

من هنا فتحليل الكتاب بوصفه وثيقة ثقافية يسمح لنا بالاقتراب أكثر من الواقع الثقافي الاجتماعي الذي تكون إلى تلك الفترة ، ويقدم لنا فرضية عمل متعلقة بعلاقة الخطاب بالإنسان الذي يتغذى منه . لذلك لم يكن كتاب بن سعدي مجرد بيان فيما اعتبره خرافات وأساطير ، بل يشير إلى حالة تاريخية مر بها قضاء الظفير قسرت فيها ثقافته .

لقد أوردت حكاية تدوين الكتاب كاملة لأهميتها الاستثنائية ؛ فهي تسلسل الأحداث التي دفعت بالمؤلف إلى تدوين كتابه.

بشكل عام ، يدون الكتاب ممارسات الناس وأقوالهم وأفعالهم من غير أي منهجية صارمة . فالكتاب غير مقسم إلى أبواب أو فصول أو موضوعات . أشبه بتداع حر يسجل فيه أي شيء يرد على باله من غير أي تحفظ أو نظام ،أو سيطرة على التفكير أو التحليل أو حجب الأفكار . ترتب على هذا أن تلاشت من الكتاب الاعتبارات المنطقية والجمالية ، وركز على تسجيل ما ورد في خاطره .

غير أن ما اعتبرته تلاشيا للاعتبارات المنهجية كان ناجحا حينما تضمن الكتاب أفعالا وممارسات وأقوالا بغض النظر عن أهميتها أو قيمتها أو تنظيمها أو تسلسلها المنطقي . فقد جعل التداعي الحر الشيخَ عبدالله بن سعدي لا يخجل من تسجيل ممارسات الناس وأفعالهم في تلك المرحلة التاريخية . التداعي الحر هو الذي خفف القلق من ذكر تلك الممارسات والأفعال ؛ فالأعراف الاجتماعية تعلم الصمت تجاه بعض الممارسات . من الصعب الاعتراف في إطار أعراف اجتماعية بالتجسس على ما يدور في الليلة الأولى بين زوجين ، أو تقبيل الرجال خدود النساء. إن البعض منا يجد صعوبة حتى من التعبير عن أفكاره اللطيفة.

فيما لو عدلت منظور القراءة سأقف على دلالات غنية بقدر ما هي مفاجئة ؛ فحتى تلك المرحلة التاريخية ما تزال الشفافية رائجة ،والأفعال لا تبحث عن سرية ،والأقوال تقال من غير أي تحفظ ، والممارسات ظاهرة وعلنية وليست مخفية ، والناس يتعاملون بتسامح . إيماءات وإشارات مباشرة ، ولغة لا خجل منها . باختصار أعراف رخوة إذا ما قورنت بما حدث من صرامة فيما بعد.

وفيما لو عدلت المنظور مرة أخرى يبدو تسجيل تلك الممارسات والأقوال والأفعال من باب ما يجب العمل على زواله ، وكأن لا شيء منها يجب أن يمارس ، أو يقال، وبالتالي يتم إظهارها من أجل إنكارها.

إن أفضل فهم للمرجعية التي ترفض تلك الممارسات يتم من خلال ما ينكره الشيخ بن سعدي، وهي مرجعية لا يتحدث عنها إلا في عبارات نادرة تشير إلى نصيتها كالالتزام بالكتاب والسنة ، أو ارتباطها بالسلطة

كسلطة ولي عهد المسلمين وولي الأمر ومشايخ العلم والمؤسسات التي تقوم بتبني فكرها ونشره ، أو إلى طبيعة إدارة الحياة التي تنتهجها السلطة كالحكم بالشرع.

وعلق الدكتور سعيد السريحي بقوله حين أوقفتني ورقة الصديق على الشدوي " الشجرة والموجة" على كتاب " الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية المنتشرة في قضاء الظفير " للشيخ عبد الله بن سعدي تمنيت لو أن الله قيض لحي الرويس الذي ولدت فيه أو قرى وادي ينبع التي ينتمي إليها أجدادي شيخا مثل الشيخ ابن سعدي الذي حفظت مدونته من التاريخ الاجتماعي لقضاء الظفير ما كان من المؤكد أن يطويه النسيان لولا ما وثقه منه على نحو يمكن معه أن نقول أن تلك المدونة كانت تثبت ما كان صاحبها يحرص على محوه وتنهض الكتابة فيها بوظيفة تقف على النقيض من وظيفة الكاتب، ولم يكن ذلك يتأتى لغير ابن سعدي الذي كان رغم انتمائه فكريا للحركة السلفية إلا أنه كان منتميا في جذوره الثقافية ورصيده المعرفي لنفس الجماعة التي يسعى إلى تغييرها.

كتاب ابن سعدي يقدم لنا مدونة انثروبولوجية هامة تستحق من صديقنا قراءة أخرى لا تأخذها على أنها مجرد مجرد (وثيقة تاريخية تشير إلى حالة تاريخية) أو (تمثل لحظة مهمة من لحظات قضاء الظفير في الربع الثاني من القرن الرابع عشر؛ هي اللحظة التي غمرت فيها الموجة الشجرة)، قراءة أخرى ينعتق فيها الشدوي من ثنائية الشجرة والموجة ويقف عند هذه الشجرة التي بقيت وارفة في مدونة سعت إلى اجتثاث جذورها.

وعلق الدكتور محمد ربيع الغامدي يعد كتاب الإيضاحات السلفية للشيخ ابن سعدي وثيقة أنثروبولوجية ثقافية نادرة بحق. إذ إنه احتفظ لنا بكثير مما كان يمارس في الحياة الاجتماعية في المنطقة التي كانت تسمى (قضاء الظفير) وهي منطقة الباحة اليوم. وقد أشار إلى هذه النقطة الشدوي في ورقته بقوله عن الكتاب: "إنه عرض خلاصة تركيبية للثقافة في قضاء الظفير ... وتكفل بضبط عناصرها المكونة، وبتحديد المواقف الذهنية التي تضمرها". ولهذا أرى أنّ هذا الكتاب أهم من كثير مما صدر عن المنطقة نفسها من كتب وموسوعات ودراسات ومقالات.

إذا كانت الميزة الكبرى في هذا الكتاب تكمن في كونه الوثيقة الاجتماعية الراصدة للممارسات والطقوس والعادات والتقاليد والأشعار والأزجال في مجتمع معين في فترة زمنية محددة فإن مشكلته الكبرى في الوقت نفسه. فيما أرى. هي "تأويل" كل هذه الممارسات الثقافية تأويلا دينيًا صرفا، مع أن كثيرًا منها لا يتعلق بالدين. ثم إن التأويل الديني المتبع كله يسير بمنطق واحد هو منطق "الإدانة" للأقوال والأفعال بلا استثناء، وبصرامة ظاهرة.

وقال الدكتور عبدالله الخطيب تستمر المحاولات لفهم التحولات الدينية والثقافية التي تولّدت عن انتقال الدعوة السلفية، وفقا للرؤية التي يطرحها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من منطقة جغرافية محددة (نجد) الى باقي مناطق المملكة العربية السعودية، الدولة حديثة النشأة آنذاك.

وقالت باعشن: " أما العلاقة بين الشجرة والموجة في الاستعارة الأصلية فهي ليست صدامية بل داعمة وتكميلية، وعند كل نقطة تواصل تقدم الموجة جزءا من التغيير الذي تتبناه الشجرة تلقائياً وتمتصه فروعها لتصبح أكثر ثراء وتنوعاً، بمعنى أن العلاقة بينهما ليست متوازية، وإنما بعدية. شجرة الشدوي وموجته يجمع بينهما التنافس على الفوز والصراع من أجل البقاء، علاقة تطور داروينية بحتة عمادها البقاء للأفضل" .

وقالت الدكتورة فاطمة الياس: "خيل لي وأنا اقرأ ورقة الأستاذ الناقد علي الشدوي ، " الشجرة والموجة" بأني إزاء تراجيديا تحكي حكاية إنسان قضاء الظفير مع "موجة" التغيير التي عصفت و "شوهت" الكثير من ملامح الذاكرة الجمعية والممارسات والطقوس الشعبية التي تضرب في اطناب تاريخه الرابض وانتمائه للأرض" .

وقالت الاستاذه علياء العمري : "قدمت الورقة تحليلاً ومراجعة وثائقية لكتاب بن سعدي الذي تناول فيه وصفاً للحياة الاجتماعية السائدة في قضاء الظفير في فترة زمنية محددة تمت الاشارة لها، فالسؤال الذي قد يتبادر إلى الأذهان هو كيف حدث هذا التغير في قضاء الظفير وأقصد هنا مراحل التغير؟! والسؤال الأهم هو هل صور كتاب بن سعدي الحياة الاجتماعية في قضاء الظفير كما كانت فعلياً في ذلك الوقت كما هو في الدراسات الأثنوغرافية؟!"

وشهدت الحلقة التي أدارها الناقد الدكتور محمد ربيع الغامدي مداخلات عدة من الحضور وكان من أبرز الحضورالدكتور سعيد السريحي و الدكتورعبدالله الخطيب والدكتورة لمياء باعشن والدكتورة فاطمة الياس وعبدالعزيز قزان وعلياء العمري.

قصة

في خريف العمر

وجوه شاحبة هدتها أحافير الزمن .. عيون غائرة تختبئ خلفها الأماني والأحلام المفقودة ..رؤوس كالحة بالبياض ..اجساد نحيلة موهنة تتمدد على الأسرة البيضاء المتراصة بجوار بعضها البعض في تلك الغرفة الطويلة التي يزيد من وحشتها حشرجة الآهات والهمهمات غير المفهومة .. فكل شيء هنا يشي بالغياب.. والوحدة .. والحزن ..والكآبة والفناء وكأنما الزمن قد توقف في هذا المكان ليحيله إلى متحف كبير مليء بالتماثيل والمحنطات .

في خطوات متثاقلة دلف أبو علي إلى عباب هذا العالم الموحش الغريب والذي لم يألفه طوال حياته ومنذ أن تراءت أمامه تلك الصور زادت وساوسه وبداء الخوف والقلق يتسلل إليه وهو لا يعرف كيف قادته قدماه إلى هذا المكان وكيف أقدم على اتخاذ مثل هذا القرار.. وفيما هو مستغرق في هواجسه وأفكاره ..لم يشعر إلا بصوت الممرضة التي كانت تسير خلفه وهي تشير إلى السرير الذي سيرقد عليه بعد أن طلبت منه أن يخلع ملابسه ويرتدي ملابسه الجديدة ..رمق السرير والمكان بأكمله بنظرة ازدراء وخيبةٍ كبيرة .. اخذ يذرع الغرفة بنظره ذهابا وإيابا .. ينظر إلى هذا ويراقب ذاك .. وفي عينيه تتقد أمارات الذهول واليقظة .. تلفت يمنة ويسرة .. أراد أن يطلق لساقيه الريح .. ولكن إلى أين سيذهب بعد أن فقد الأهل والأحباب وليس لهٍ احد بالخارج وعمره تجاوز الستين عاما .. تذكر ذلك الموقف الصعب في فراق أسرته ومر أمامه كأثغاث أحلام وكزه الم الوحدة ووحشتها فانهمرت دموعه.. بعد قليل شعر بالسكينة و الارتياح ..بداء يقلبٍ الأمر مرات ومرات ..همس لنفسه قائلا : هنا على الأقل لن يطالبني احد بالإيجار ..ولا بقيمة المأكل والمشرب حتى الملبس ..طمان نفسه .. اخذ يتناسى كل ما يحيط به.. ارتدى ملابسه .. أغمض عينيه.. صم أذنيه .. ارتمى على سريره كقطعة بالية .. واسلم نفسه لنوم عميق .

استيقظ أبو علي في اليوم التالي لتصافح عيناه من جديد ومع تباشير الصباح الأولى تلك الصور القاسية المحيطة به من كل جانب .. مال إلى صاحب السرير القابع على يمينه ..رد عليه السلام .. لم يرد عليه واكتفى بان نظر إليه بعينين تحمل فيهما الكثير من الكلام والأسرار والآلام ..ربت على كتفه وعاد أدراجه واستلقى على سريره مرة أخرى ..فكر أن يكرر المحاولة مع الجار الأخر على يساره .. بادره بالتحية.. فرفع له يده مثرثرا بكلام غير مفهوم .. ودعه هو الأخر واستدار وجال بنظره في أرجاءٍ الغرفة الواسعة وإذا به يلمح كهلا جالسا هناك في المنتصفٍ ويومئ له .. فرح أبو علي وقال : أخيرا وجدت من أتحدث إليه ويؤنس وحشتي .. ويعيد لعقارب الساعة دورانها الحقيقي .. هرول إليه مسرعا وما أن اقترب منه حتى فاجأه الكهل بالسؤال الطامة !!!

× الكهل : جابوا العشاء وإلا بعد ؟ !!

× أبو علي : أي عشاء.. تقصد الإفطار!

× الكهل: من هو اللي طار (طير الله عقلك) ؟

× أبو علي : سيأتي عما قريب قالها من باب المجاملة وتطييب خاطره .

× الكهل : لا من قال لك إني طلبت الطبيب ؟!!

× أبو علي : معذرة لم افهم ما تريد .

كرر الكهل طرح أسئلته على أبو علي قائلاً : : هل عادت أم سعود من السوق ؟!!

أبو علي : ..لا اعلم ..لا اعلم ..

الكهل: من اللي مات بالسم يا دافع البلاء؟!! عندها لم يتمالك أبو علي نفسه واخذ ينسحب من عنده بهدوء متقهقرا إلى الوراء وهو يتمتم .. يبدوا أن صاحبنا خارج التغطية أو انه مصاب بالصمم وربما انه يعيش في عالم الخرف وأرذل العمر كما يقال.

عاوده القلق والملل مرة أخرى .. واخذت الوساوس تصارع ما بقي لديه من صبر وعزيمة .. وايقن أن الحالات المترامية هنا وهناك كلها تتشابه إلا من رحم ربي .. ولكن كيف له أن يعيش وسط هذه الأجواء المحبطة والتي ليس بينه وبينها أي لغة للتفاهم والتقارب والالتقاء .

في طريق عودته إلى سريره فوجئ بالطاقم الطبي الذي أتى ليتفقد أحوال النزلاء .. أسرع في خطاه نحو سريره وظل ينتظر دوره بين هؤلاء وما أن وصلوا إليه اخذوا يتفحصونه .. وهو يقول لهم أنا لست مريضاً .. أنا هنا فقط لأنني وحيد .. لا اعول أحدا ولا احد يعولني بالخارج .. يعني أنني مقطوع من شجرة .

أجابه رئيس الفريق الطبي .. ولكن هذه أمور روتينية نقوم بها لكل نزلاء الدار لنتابع أمراضهم وتقلبات أحوالهم .. واعلم انك جديد هنا وحتما سوف تتأقلم مع مرور الوقت على هذا المكان وتصبح جزء منه .. وهو جزء منك .. وعلى العموم فحالتك الصحية تمام التمام .. فقط اهتم بالتغذية وأكثر من أكل الخضار والفاكهة.

فرد أبو علي ولكن أريد أن أجد أحداً أتحدث إليه واكسر وحشة هذا المكان بدلا من هؤلاء الذين يعيشون في شبه غيبوبة أو أنهم في طريقهم إلى غيبوبتهم الأبدية .

أجابه احدهم إذا عليك بالتوجه إلى (أبو احمد) نزيل الجناح الأخر والذي ستجده غالبا في حديقة الدار، كانت هذه المعلومة بمثابة بارقة الأمل التي كان ينتظرها كثيرا ليخرج من هذه العزلة القاتلة ، وعندما غادر الفريق الطبي وانتقل لاستكمال جولته على بقية النزلاء لمم أبوعلي نفسه وعدل من هندامه وتوجه سريعا إلى الحديقة ..لم يتعب كثيرا في البحث عن أبو احمد إذ لم يكن يوجد سوى ذلك الرجل الحاسر الرأس المتكوم على كرسيه المتحرك وهو يدفع بكرسيه هنا وهناك في كافة أرجاء الحديقة .. اقترب منه أبو علي ووقف خلفه وألقى عليه التحية .. فرحب به أبو احمد وهو ينظر إلى الأفق وقال : يبدوا انك أنت الضيف الجديد .. فرد بالإيجاب فاستدار أبو احمد بكرسيه ليراه .. وما أن أخذا يتأملان بعضهما البعض ويتفحص كل منهما ملامح الأخر حتى انفجر أبو علي صائحا ..

هل أنت صالح جارنا القديم منذ عشرات السنين.. ؟

مشعل الحارثي

فبادره أبو احمد بسؤاله وهل أنت سالم ذلك الشاب الذي كان يتقد نظارة وقوة و حيوية ؟ فأجاب أبو علي نعم انأ هو .. آه .. ما أضيق هذه الدنيا وما أعجبها التي ما أن تفرق حتى تجمع مرة أخرى ولو بعد حين .

× أبو علي : ولكن يا أبو احمد اجبني .. هل أنت الوحيد الذي مازال على قيد الحياة في هذه الدار ؟

× أبو احمد : ومن قال ذلك .. إنني في عداد الموتى منذ وصولي إلى هذه الدار قبل عشر سنوات .

× أبو علي : وكيف بقيت على قيد الحياة إذاً كل هذه المدة .

× أبو احمد : يا صديقي وجاري القديم في هذا المكان نسينا كل البسمات والضحكات والأيام تمضي بنا بطيئة .. ثقيلة ..مملة .. وأصبحت مفردات الكآبة والنزق والمرض وقرب الرحيل ملازمة لكل من تقذف به الأقدار ويلج هذه الدار ولم يبقى لنا هنا إلا اجترار الماضي والعيش على الذكريات الجميلة والمواقف السعيدة .. إننا نعيش هنا في مقبرة حقيقية للأحياء .

× أبو علي : اخبرني إذا أين أولادك وأسرتك ؟وماذا حل بك حتى ألت أمورك إلى هذا المكان ؟ هل أنت مثلي فقدتهم دفعة واحدة ؟

× أبو احمد : إيه يا بوعلي أولادي هم سبب الكارثة الحقيقية في حياتي ..فاولادي الذين شقيت العمر من اجلهم هم من قادوني إلى هذه الدار بعد إصابتي بالشلل اثر حادث سير بعد أن مكثت للعلاج أكثر من خمس سنوات حتى مل أولادي مني ولم يجدوا وسيلة للتخلص مني إلا أن الحقوا بي تهمة الخرف ليرثوني وأنا على قيد الحياة ومن يومها وأنا اشعر أنني أعيش هنا جسدا بلا روح بعد أن فقدت قدماي وكسرعكازي الذي كنت أتوكاء عليه وادخره لخريف العمر.

× أبو علي : وهل كانوا على تواصل معك طوال هذه المدة ويزورنك باستمرار ؟

× أبو احمد : أصغرهم بعث لي العام الماضي بطاقة معايدة .. رغم أني اشكٍ فيمن أرسلها ومع ذلك فقد فرحت بها فرحا كبيرا وشعرت أن هناك من لازال يذكرني .

× أبو علي : يأل هذه القسوة والجحود والنكران والعقوق.

× أبو إحمد : هذه أقدارنا يا أبوعلي تأتي أحيانا بعكس ما نريد ونحلم وقدرنا في هذا المكان أن نمضي سنواتنا الأخيرة في خوف مطبق وشعور مستحكم بعدم الأمان لذلك لا تستغرب عندما تجدني اقضي اغلب وقتي هنا في هذه الحديقة والممرات اذرعها يوميا طولا وعرضا وادفع بهذه العربة هنا وهناك كل ذلك من اجل أن أجهد نفسي تماما واشعر بالتعب التام ثم أعود لأرتمي على سريري وأنام .. فليس أفضل من النوم هنا لتحتفظ ببقية عقلك وصحتك إلى اليوم المعلوم .

× أبو علي : بكلامك هذا جعلتني اشد إصراراً على مغادرة هذا المكان .. فانا أريد أن اخرج .. أن أرى الناس لأيهم أن ارتمي على الأرصفة أو أتكوم في احد زوايا المساجد أو أي مكان أخر .. أريد أن أتلذذ بطعم الحياة ومعاشرة الأحياء والنظر إلى تلك الزهور المتفتحة ..اريد أن اشعر بكياني ووجودي وأنني جزء من هذا المجتمع أتنقل هنا وهناك واستنشق عبير الحرية والانطلاق لا أكون ككوم لحم مهمل بين هذه الأسوار.

× أبو احمد : وهل سيتركونك بالخارج تعمل ما تشاء وأنت لا تملك قوت يومك وليلتك .. سوف يعيدونك إلى هنا مرة أخرى إلا من وجد له أسرة صالحةٍ تحتضنه وترعاه فلن يرى هذا المكان مطلقا حتى يودع هذه الدنيا محمولا على أيدي أحبابه وأصدقائه ورفقائه .

× أبو علي : يا صديقي القديم الجديد إن شجرة السنديان مهما تساقطت أوراقها فهي تظل ثابتة وجذورها ممتدة في الأعماق تتطلع إلى الشمس وتبحث عن الدفء والق الحياة .

× أبو احمد : يعجبني فيك يا أبوعلي هذا التفاؤل العريض والتشبث بالحياة ومع هذا علينا أن نعترف بان الزمان ليس الزمان .. وان الناس غير الناس .. وان الدنيا أصبحت الآن خارج دائرة أحلامنا بعد أن وهن العظم منا واشتعل الرأس شيبا وعدنا مرغمين من حيث بدأنا وإنما أطفالا كٍبار فعلينا أن نقلب أوراقنا عندما كنا صغارا لكي لا ننسى .

× أبو علي : هذا يعني انك مستسلم للواقع وانك فقدت حريتك ونسيتها إلى الأبد .

أبو احمد : ربما أكون كذلك فعلاً لان وضعي وعدم قدرتي على الحركة وأنا على هذا الكرسي فرض علي ذلك و لكن من الذي لا يحلم بالحرية والانعتاق مما نحن فيه ولذا عليك يا أبو علي أن تتقبل حقيقة النهاية مهما كانت مرارتها .

× أبو علي : مادام الموتٍ هو المصير والحياة معركة لا مفر منها فأهلاً بهذه المعركة حتى أخر قطرات الحياة ولن أتنازل عن حريتي مهما كان الثمن وما استطاعت قدماي أن تحملني من مكان إلى أخر.

× أبو احمد : أنت مازلت تعتقد أننا يجب أن لا نشيخ ونهرم وترفض هذه الحقيقة وكأني بك تتأرجح بين حياتين وعمرين لا عمر واحد مقدور على سطح هذه البسيطة.

× أبو علي : إنني دائماً أتسأل إلى متى سنظل هكذا نصرخ وننئن ونندب حظنا العاثر ولا مجيب ولا مستمع ومجيب لنداتنا وصرخاتنا ونحن والجميع هنا أحياء كالأموات ..لم يمنحنا احد الحب والرعاية ..ولم يشاطرنا احد ما نحن فيه من وحدة قاتلة.. ولم يسعى احد لزرع الفرحة والامل في قلوبنا ورسم الابتسامة على شفاهنا ..بل الحقيقة التي لا زيف فيها يا أبو احمد أننا أصبحنا من المنبوذين من المجتمع ومن مؤسساته الاجتماعية والإنسانية ومن مثقفيه ووسائل إعلامه وأصبحنا فعلا نسيا منسيا منذ أن نلج من هذه البوابة وأشار أبو علي بيده إلى البوابة الرئيسية التي كانت على مقربة منه وفجأة وجدها تفتح أمامه لدخول إحدى المركبات .. ساعتها داعبت أبو علي بعض الهواجس والأفكار واخذ يقلب الأمر في ذهنه .. مرت فترة صمت قصيرة لاحظ فيها ابو احمد هروب نظرات صديقه المتكررة وصمته المتقطع فبادره بالسؤال :

ابو احمد : ما بك يا ابو علي اراك مضطرباً شارداً على غير العادة ؟ هون عليك يا رجل فكلها حياة عابرة هنا ام هناك وتجلد الصبر حتى ياتي الفرج .

ظل ابو علي صامتاً تلوكه سياط الهواجس والحيرة ..غزا الخوف والقلق مرة أخرى بساط ذاكرته.. تأمل البوابة ..رمق بنظره ذلك الأفق المتسع أمامه عبرها .. شعر بغصة في حلقه .. نظر الى صديقه ابو احمد كانما يودعه الوداع الاخير.. جمد برهة .. بقي ينظر الى البوابة .. فجاءة إرتعشت ساقاه ..شعر ان جسمه يزداد ثقلا .. وبدون أي مقدمات استدار وامسك طرف ثوبه بين أسنانه واخذ يركض نحو البوابة فاخترقها وسط ذهول الحراس متلاشيا وسط زحام الأحياء و الحِياة بينما جلس رفيقه أبو احمد مشدوها مذهولا من المشهد وخانته الكلمات للتعبير عما حدث أمامه واكتفى بان يردد ..وفقك الله ..وفقك الله ..وما هي إلا لحظات حتى شعر ابو احمد بهجمة شرسة من التثاؤب تتملكه فأسرع الخطى بعربته المتحركة نحو سريره المعتاد الذي ما أن ارتمى عليه حتى غاب في نوم عميق.